الإسناد من الدين ومن خصائص أمة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم

بقلم : الدكتور عاصم بن عبد الله القريوتى
أستاذ مساعد بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ . أما بعد :

فإن الله سبحانه وتعالى قد خص أمة محمد ﷺ وشرفها بالعناية بالإسناد دون غيرها من الأمم وكما امتاز أهل السنة والجماعة أيضا بالدقة فى الإسناد عن أهل البدع والأهواء والضلالات[1] إذ أصرح ما يستدل به أهل البدع على بدعهم ما ليس له إسناد وإن أسند فهو مما لم يصح ، وأما ما صح فليس لهم فيه حجة فى الدلالة على معتقداتهم وباطلهم .

وعظمة هذا العلم — علم الإسناد — تتجلى فى كون علم الرجال نصف علم الحديث، ولولا الإسناد لقال فى الدين من شاء ما شاء ، ولقد سطّر علماؤنا أمثلة نفيسة فى الذب عن السنة النبوية ، وكانوا لايعرفون المحاباة فيمن يتكلمون فيه

(١) قال أبو نصر بن سلام : « ليس شيء أثقل على أهل الالحاد من الاسناد ولا أبغض اليهم من سماع الحديث وروايته وإسناده » الخلاصة فى أصول الحديث (ص ٣٠)

لأن الأمر دين ، وهم يضعون نصب أعينهم قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين الحجرات : ٦﴾ ويتذكرون قول الله تبارك وتعالى : ﴿قل إن كان آباءكم وأبناءكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين ـ التوبة : ٢٤﴾ ولهذا وصل الأمر بعلمائنا من شدة الحيطة والسؤال والتثبت أن يظن بأنهم يريدون تزويج من يسألون عنه كما قال الحسن بن صالح : كنا إذا أردنا أن نكتب عن رجل سألنا عنه حتى يقال لنا : أتريدون أن تزوجوه[١] ؟ ولهذا أيضاً قال زيد بن أبي أنيسه فى أخيه يحي : « إنه يكذب[٢] » ولما سئل جرير بن عبد الحميد عن أخيه أنس قال : « قد سمع من هشام بن عروة ولكنه يكذب فى حديث الناس فلا يكتب عنه[٣] » وقال ابن المدينى عن والده : « وفى حديث الشيخ ما فيه ، وأشار إلى تضعيفه[٤] » وقال أبو داود فى ابنه عبد الله : « ابنى عبد الله يكذب[٥] » . وكان أبو بكر الضبعى ينهى عن السماع من أخيه محمد بن إسحاق[٦] وغير ذلك كثير .

ولقد رأيت لأئمتنا الأعلام أقوالا عظيمة فى الإسناد ، وأهميته ، وكونه من خصائص أمة محمد ﷺ فرأيت جمع ما وفقنى الله للوقوف عليه ، وقدمت

(١) الكفاية (ص ٩٤)
(٢) تهذيب التهذيب (١٨٤/١١)
(٣) لسان الميزان (٤٦٩/١)
(٤) تهذيب التهذيب (١٧٥/٥)
(٥) لسان الميزان (٢٩٤/٣)
(٦) المصدر السابق (٦٩/٥)

لذلك بمقدمة عن السند والإسناد، والحاجة اليه والله أسأل أن يجعل هذا من أعمالى الخالصة لوجهه وأن يغفر به زلاتى وعثراتى، والحمد لله رب العالمين.

تعريف السند لغة واصطلاحا :

السند بفتحتين : ما ارتفع من الأرض فى قبل الجبل أو الوادى(١).

وفلان سند : أى معتمد به(٢).

والسند إصطلاحا : الطريق الموصلة إلى متن الحديث، ويقال له الطريق لأنه يوصل إلى المقصود هنا وهو الحديث، كما يوصل الطريق المحسوس إلى ما يقصده السالك، وقد يقال للطريق الوجه، فنقول : هذا حديث لا يعرف إلا من هذا الوجه(٣).

والعلاقة بين التعريفين اللغوى والإصطلاحى أن السند إما أخذ مما علا وارتفع من سفح الجبل، لأن المسند(٤) يرفع الحديث إلى قائله. أو من قوله فلان سند أى معتمد، فسمى الإخبار عن طريق المتن سندا لاعتماد الحفاظ عليه فى صحة الحديث وضعفه(٥).

والإسناد : مصدر أسند وذلك لا يثنى ولا يجمع، وكثيرا ما يراد به السند فيثنى ويجمع، فيقال هذا حديث له إسنادان، وهذا حديث له أسانيد،

(١) لسان العرب مادة س ن د، وانظر تاج العروس (٢١٥/٨)

(٢) المصدر السابق وانظر مختار الصحاح (ص ٣١٦)

(٣) توجيه النظر (ص ٢٥)

(٤) سيأتى تعريف المسند إن شاء الله تعالى.

(٥) توجيه النظر (ص ٢٥) وانظر خلاصة الطيبي (ص ٣٠)

ولا يقال هذا حديث له أسناد بمعنى أوتاد كأنهم استغنوا بجمع الإسناد بمعنى السند عن جمعه[١].

والسند والإسناد قد يستعمل أحدهما فى الآخر إذ هما متقاربان فى معنى اعتماد الحفاظ فى صحة الحديث وضعفه عليهما[٢].

وأسندت الحديث إلى قائله : إذا رفعته اليه بذكر ناقله[٣]، إذ الإسناد حكاية طريق المتن[٤].

تعريف المتن لغة واصطلاحا :

وأما المتن فهو ما صلب ظهره وما ارتفع من الأرض واستوى . والجمع متون ومتان[٥] ومتنت الكبش شققت صفنه واستخرجت بيضة بعروقها[٦]، والمماتنة : المباعدة فى الغاية ، والتمتين خيوط تشد بها أوصال الخيام[٧].

والمتن اصطلاحا : « ما ينتهى اليه غاية السند من الكلام[٨]»

والعلاقة بين التعريفين أن المتن ربما أخذ من المماتنة وهى المباعدة فى الغاية لأنه غاية السند ، أو من متنت الكبش إذا شققت جلد بيضته واستخرجتها ، فكأن المسند استخرج المتن بسنده ، أو من المتن وهو ما صلب وارتفع من الأرض

---

(١) توجيه النظر (ص ٢٥) وانظر خلاصة الطيبي (ص ٣٠)
(٢) خلاصة الطيبي (ص ٣٠) وتدريب الراوى (١ / ٤١) وانظر شرح المواهب (٥ / ٣٩٣)
(٣) لسان العرب مادة س ن د وانظر المصباح المنير (ص ٣١٤)
(٤) شرح المواهب اللدنية (٥/٣٩٣)
(٥ - ٧) لسان العرب مادة م ت ن . وانظر القاموس أيضاً .
(٨) قاله ابن جماعة كما فى « قواعد التحديث » (ص ٢٠٢)

لأن المسند يقويه بالسند ويرفعه إلى قائله أو من بمتين القوس أى شدها بالعصب لأن المسند يقوى الحديث بسنده(١).

والمسند: كمكرم بفتح النون اسم مفعول من أسند وجمعه مساند على القياس ومسانيد بزيادة التحتية إشباعا وقيل إنه لغة وحكى بعضهم فى مثله القياس أيضاً(٢) وفى الاصطلاح له اعتبارات.

الأول: ما اتصل سنده إلى منتهاه، وأكثر ما يستعمل فيما جاء عن النبى ﷺ(٣) ومنه اطلاق البخارى (ت ٢٥٦ هـ) على صحيحه «الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه(٤)» ومنه إطلاق بعضهم المسند على سنن الدارمى(٥) وذهب بعضهم إلى أن المسند ما رفع إلى النبى ﷺ فيدخل فى هذا المنقطع(٦).

الثانى: يطلق على الكتاب الذى جمع فيه ما أسنده الصحابة أى رووه، اسم مفعول، وهو نوع من المصنفات الحديثية، ويجمع فيه فى ترجمة كل صحابى ما عنده من الأحاديث، وقد يرتب بحسب الحروف، أو القبائل، أو السابقين فى الإسلام(٧) ونحو ذلك، كمسند الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) أو مسند

---

(١) المصدر السابق (ص ٢٠٢)
(٢) تاج العروس مادة س ن د)
(٣) النكت على كتاب ابن الصلاح (١ / ٥٠٥ - ٥٠٧) وانظر الإقتراح فى بيان الاصطلاح (ص ١٩٦) وتوجيه النظر (ص ٦٢)
(٤) مقدمة فتح البارى (ص ٨)
(٥) كشف الظنون (١٦٨٢/١)
(٦) التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد (٢٢/١)
(٧) الحطة بذكر الصحاح الستة (ص ٧٣) ومقدمة تحفة الأحوذى (ص ٣٥)

أبى يعلى (ت ٣٠٧ هـ) ومسند البزار (ت ٢٩٢ هـ) وغيرها .

الثالث : يطلق ويراد به الإسناد فيكون مصدرا كمسند « الشهاب[١] » ومسند « الفردوس[٢] » أى أسانيد أحاديثهما .

والمسند بكسر النون : اسم فاعل من أسند .

وفى الاصطلاح : مرتبة من مراتب المحدثين ، ويطلق على من يروى الحديث

---

(١) ألف القاضى أبوعبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعى الشافعى (ت ٤٥٤ هـ) كتابا ، جمع فيه كلمة من الحكم فى الوصايا والآداب والمواعظ والأمثال وجعلها مرودة يتلو بعضها بعضا محذوفة الأسانيد مبوبة على الأبواب حسب تقارب الألفاظ ثم زاد مائتى كلمة وختم الكتاب بأدعية مروية وأسمى كتابه « شهاب الأخبار فى الحكم والأمثال والآداب » وأفرد للأسانيد جميعها كتاباً يرجع فى معرفتها اليه ، وللكتاب خدمات كثيرة من أهل العلم انظرها فى كشف الظنون (١٠٦٧/٢) وقد طبع « مسند الشهاب » بتحقيق الشيخ حمد بن عبد المجيد السلفى ، نشر مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م

(٢) لأبى شجاع شيرويه بن شهر دار بن شيرويه الديلمى (ت ٥٠٩ هـ) « فردوس الأخبار بمأثور الخطاب المخرج على كتاب الشهاب » ذكر فيه أنه أورد فيه عشر آلاف حديث وذكر أنه أورد القضاعى فيه ألف كلمة ومائتى كلمة ولم يذكر رواتها فذكر فى « الفردوس » رواتها ، ورتبها على حروف المعجم محذوفة الأسانيد ثم جاء ولد الحافظ شهر دار (ت ٥٥٨هـ) فرتبها على حروف كتاب الفردوس ورتبها ترتيباً حسناً وأسماه « مسند الفردوس » انظر كشف الظنون » (١٣٥٤/٢) وللحافظ ابن حجر العسقلانى (تسديد القوس فى مختصر مسند الفردوس) انظر « كشف الظنون » (١٦٨٥/٢)

بإسناده ، سواء كان له علم به ، أو ليس إلا مجرد الرواية فقط ، وهو دون المحدث والحافظ[١].

وعلم الإسناد : علم يعنى بمعرفة حال رجال الإسناد وصفاتهم المعتبرة وضبط أسمائهم وأنسابهم ومواليدهم ووفياتهم وغير ذلك من الصفات[٢].

الحاجة إلى الإسناد :

لقد كان الصحابة رضى الله عنهم يتلقون أمور دينهم كلها من رسول الله ﷺ مباشرة أو بواسطة من شهد ذلك مع رسول الله ﷺ من قوله أو فعله أو تقريره . والذى تدل عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الثابتة أن الصحابة كلهم عدول[٣] بتعديل الله تبارك وتعالى لهم ، خلافا لبعض أهل الأهواء المطاعنين الحاقدين على صحابة رسول الله ﷺ ولهذا ولغيره لا يتصور أبدا احتمال الكذب من ذلكم الرعيل الذى قدم الغالى والنفيس فى الدعوة إلى الله ونشر الدين الإسلامى والذب عن الشريعة ، بل هم حملتها ونقلتها الينا ، جزاهم الله خيرا . ولا يجرؤ مسلم عنده تقوى فى عصرنا على التقول على أحد بغير علم ، فكيف يجرؤ على التقول على الله أو على رسوله ؟ بل كيف يخطر ببال عاقل إمكانية وقوع ذلك من صحابة رسول الله ﷺ وهم يسمعون ويعلمون ويعملون بقوله تعالى : ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ـ الإسراء : ٣٦﴾ وبقوله عليه الصلاة والسلام

(١) فهرس الفهارس والأثبات (١/٧١) وحاشية الباعث الحثيث ص١٥٦) وقواعد التحديث (ص ٧٦ ، ٧٧)

(٢) مقدمة شرح مسلم للنووى (١/٣) وانظر الحطة (ص ٨٦)

(٣) الإصابة فى تمييز الصحابة (١/٩ - ١٢)

« من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار أخرجه الشيخان[١]»
وبقوله عليه الصلاة والسلام: « من حدث عنى بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين[٢]»

ولقد كان التحرى والتثبت موجودا فى الرواية لدى صحابة رسول الله ﷺ وكان خليفة رسول الله ﷺ وأفضل الأمة بعده أبو بكر الصديق (ت ١٣ هـ) أول من احتاط فى قبول الأخبار[٣] وقد قال ابن عباس (ت ٦٨ هـ) حبر الأمة رضى الله عنهما: « إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم[٤]» وقد يقال إن أول من أثر عنه استعمال الإسناد محمد بن سيرين (ت ١١٠ هـ) حيث قال: كانوا لا يسألون عن الإسناد حتى وقعت الفتنة فسألوا عن الرجل، فإن كان من أهل السنة أخذوا حديثه، وان كان من أهل البدعة فلا يؤخذ حديثه[٥] والفتنة المشار اليها هى ما وقع بين على ومعاوية رضى الله عنهما[٦] وبعد ذلك وبتباعد الناس عن عصر الرسالة احتاج الناس إلى الأسانيد للتثبت من أمر النقله قال الشاه ولى الله الدهلوى (ت ١١٧٦ هـ) إعلم أنه لا سبيل لنا إلى معرفة الشرائع والأحكام إلا خبر النبي ﷺ، بخلاف المصالح فإنها قد تدرك بالتجربة

(١) البخارى (١٦/٣ فتح البارى)، ومسلم (٦٧/١ - ٦٨) بشرح النووى، وقد عد الحديث من المتواتر عن الرسول ﷺ.
(٢) مقدمة « صحيح مسلم » (٦٢/١ بشرح النووى)
(٣) تذكرة الحفاظ (٤/١)
(٤) رواه ابن حبان فى مقدمة « المجروحين » (٢١/١) وكما رواه عن غير ابن عباس أيضاً.
(٥) المصدر السابق (٨٢/١) ومسلم فى مقدمة صحيحه (٨٤/١ بشرح النووى)
(٦) بحوث فى تأريخ السنة المشرفة (ص ٢٨)

والنظر الصادق والحدس ونحو ذلك ، ولا سبيل لنا إلى معرفة أخباره ﷺ إلا بتلقى الروايات المنتهية اليه بالاتصال والعنعنة[١].

علم الإسناد من حفظ الله لدينه

والعناية بالإسناد من حفظ الله تبارك وتعالى لدينه حيث يقول تعالى : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ـ الحجر : ٩﴾ ولا شك أن الحديث النبوى داخل ضمن قوله تعالى ﴿الذكر[٢]﴾ . ولهذا لما سئل الامام عبد الله ابن المبارك (ت ١٨١ هـ) عن الأحاديث الموضوعة قال : تعيش لها الجهابذة ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون[٣]﴾ .

ويقول الإمام ابن حزم الأندلسى (ت ٤٥٦ هـ) . قال الله تعالى عن نبيه ﷺ : ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى ـ النجم : ٤﴾ وقال تعالى آمرا نبيه عليه الصلاة والسلام أن يقول : ﴿إن أتبع إلا ما يوحى إلى ـ الأحقاف : ٩﴾ وقال تعالى : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ـ الحجر: ٩﴾ وقال تعالى : ﴿لتبين للناس ما نزل اليهم ـ النحل : ٤٤﴾ فصح أن كلام رسول الله ﷺ فى الدين وحى من عند الله عز وجل ، لا شك فى ذلك ولا خلاف بين أحد من أهل اللغة والشريعة فى أن كل وحى نزل من عند الله تعالى فهو ذكر منزل ، فالوحى كله محفوظ بحفظ الله تعالى له بيقين وكل ما تكفل الله بحفظه فمضمون أن لايضيع منه وأن لايحرف منه شيء أبدا تحريف لايأتى البيان ببطلانه إذ لو جاء غير ذلك لكان كلام الله تعالى باطلا كذبا وضمانه خائسا وهذا لا يخطر ببال ذى مسكة عقل فوجب أن الدين الذى أتانا به محمد ﷺ محفوظ بقوله

---

(١) حجة الله البالغة (٣٢/١) وانظر الحطة (ص ١٢٣)

(٢ ، ٣) توضيح الأفكار (٧٩/٢) وشرح شرح النخبة لعلى القارى (ص ١٢٧)

تعالى: حفظه مبلغ كما هو إلى كل من طلبه مما يأتى أبدا إلى انقضاء الدنيا. قال تعالى: ﴿لأنذركم به ومن بلغ - الأنعام: ١٩﴾ فإن ذلك كذلك فبالضرورة ندرى أنه لا سبيل ألبتة إلى أن يختلط به باطل لضياع شيء قاله رسول الله ﷺ فى الدين، ولا سبيل ألبتة لضياع شيء قاله رسول الله ﷺ فى الدين ولا سبيل إلى أن يختلط به باطل موضوع وإلا لكان قول الله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ كذبا ووعدا مخلفاً وهذا لا يقوله مسلم[١].

وأما مكانة هذا العلم فاتضحت مما سبق أن الحديث مكون من سند ومتن، فلهذا كان علم أسماء الرجال نصف علم الحديث[٢].

علم الإسناد من خصائص أمة محمد ﷺ وما جاء فى ذلك من آثار

وأما علم الإسناد فهو خاص بأمة محمد ﷺ، وهو كرامة لها، وليس لأحد سوى المسلمين، ولقد وردت عن أئمتنا وحفاظنا أقوال عديدة إضافة لما سبق تدل على أهمية الإسناد وفى كونه من خصائص هذه الأمة، واليك طائفة مباركة من أقوالهم — رحمهم الله جميعا —:

قال الحافظ محمد بن سيرين (ت ١١٠ هـ) فى مرضه:

«اتقوا الله يا معشر الشباب وانظرون عمن تأخذوا هذه الأحاديث فإنها دينكم[٣]» وقال أيضاً:

---

(١) الإحكام فى أصول الأحكام (١/١٢١ - ١٢٢)

(٢) قاله ابن المدينى كما فى كشف الظنون (١ / ٨٧) وتذهيب التهذيب للذهبي.

(٣) رواه ابن أبي حاتم فى الجرح والتعديل (٢ / ١٥) وابن حبان فى المجروحين (١ / ٢٢) والرامهرمزى فى المحدث الفاصل بين الراوى والواعى (ص ٤١٥) والخطيب البغدادى فى الكفاية.

« إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم[(١)] » .

قلت : جاءت روايات نحو قول ابن سيرين عن جمع من الأئمة الأعلام منهم : على بن أبي طالب (ت ٤٠ هـ) ، وأبوهريرة (ت ٥٨ هـ) رضى الله عنهما وشعبة بن الحجاج (ت ١٦٠ هـ) ، وزائدة بن قدامة (ت ١٦١ هـ) ، ومالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ) ، وأحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) وغيرهم[(٢)].

وقال مطر (بفتحتين) ابن طهمان الوراق (ت ١٢٥ وقال ١٢٩ هـ) فى قوله تبارك وتعالى : ﴿أو أثارة من علم - سورة الأحقاف : ٤﴾ « إسناد الحديث[(٣)] »

وكان محمد بن مسلم بن شهاب (ت ١٢٤ هـ) إذا حدث أتى بالإسناد ويقول : « لا يصلح أن يرقى السطح إلا بدرجة[(٤)] » .

---

(١) رواه مسلم فى مقدمة صحيح مسلم (١ / ٨٤ بشرح النووى) وابن حبان فى المجروحين (٢٢/١)

(٢) الجرح والتعديل (١٥/٢-١٦) والمحدث الفاصل (ص ١٤٥ - ١٤٦) والكفاية (ص ١٢٢ - ١٢٣) والتمهيد (١ / ٤٥ - ٤٧) والمجروحين (١ / ٢١ - ٢٣) والكامل فى ضعفاء الرجال (١٥٥/١ - ٥٦) وغيرها .

واعلم أنه وردت أحاديث مرفوعة بشأن النظر فيمن يؤخذ عنه العلم وأنه من الدين والأمر بالكتاب بالإسناد ولم يصح شىء فى ذلك كما ذكر ابن الجوزى فى العلل المتناهية (١٢٣/١-١٢٥) وانظر مرعاة المفاتيح (٣٥٨/١) وفيض القدير (٥٤٥/٢) و(٤٣٣/١) وانظر أيضاً سلسلة الأحاديث الضعيفة (٤٢٤) وضعيف الجامع الصغير (١/ ٢٣) و (٢٠٢/٢) لشيخنا العلامة محمد ناصر الدين الألبانى وتاريخ بغداد (٣٠١/٩) والمحدث الفاصل (ص ١٢٤) والكفاية (ص ١٢١)

(٣) فتح المغيث (٣/٣) وتدريب الراوى (١٦٠/٢)

(٤) رواه ابن أبي حاتم فى الجرح والتعديل (١٦/٢)

وقال عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى (ت ١٥٧ هـ)
ما ذهاب العلم إلا ذهاب الإسناد[١].

وقال شعبة بن الحجاج (ت ١٦٠ هـ):
« إنما يعلم صحة الحديث بصحة الإسناد[٢]» وقال أيضاً: « كل شىء ليس فى الحديث سمعت فهو خل أو بقل[٣]».

وقال سفيان بن سعيد الثورى (ت ١٦١ هـ):
« الإسناد سلاح المؤمن فإذا لم يكن سلاح فبأى شىء يقاتل[٤]».

وقال الحافظ أبو اسحاق ابراهيم بن يعقوب الجوزجانى (ت ٢٥٩ هـ):
وقد حدثنى على بن الحسن قال: سمعت عبد الله يعنى ابن المبارك يقول: إذا ابتليت بالقضاء فعليك بالأثر. قال على: فذكرته لأبى حمزة بن ميمون السكرى من أهل مزو (ت ١٦٧) — لا بأس به — فقال: هل تدرى ما الأثر؟ أن أحدثك بالشىء فتعمل به، فيقال لك يوم القيامة: من أمرك بهذا؟ فتقول أبو حمزة، فيجاء بى فيقال: إن هذا يزعم أنك أمرته بكذا وكذا، فإن قلت: نعم، خلى عنك، ويقال لى: من أين قلت هذا؟ فأقول: قال لى الأعمش، فيسأل الأعمش، فإذا قال نعم خلى عنى، ويقال للأعمش: من أين قلت؟ فيقول: قال لى ابراهيم، فيسأل ابراهيم فإن قال نعم، خلى عن الأعمش وأخذ ابراهيم فيقال له: من أين قلت؟ فيقول قال لى علقمة، فيسأل علقمة فإذا قال نعم خلى عن ابراهيم ويقال له من أين قلت فيقول قال لى عبد الله بن مسعود فيسأل

(١، ٢) رواه ابن عبد البر فى التمهيد (٥٧/١)
(٣) رواه ابن عدى فى الكامل (٢٨/١٠) وانظر سير أعلام النبلاء (٢١٨/٧)
(٤) ذكره السخاوى فى فتح المغيث (٣/٣)

عبد الله فإن قال نعم خلى عن علقمة ويقــال لابن مسعود من أين قلت قال فيقول : قال لى رسول الله ﷺ ، فيسأل رسول الله ﷺ فإن قال نعم خلى عن ابن مسعود فيقال للنبي ﷺ فيقول قال لى جبريل حتى ينتهى إلى الرب تبارك وتعــالى ، فهذا الأثر فالأمر جد غير هزل ، إذ كان يشقى على جنة أو نار ليس بينهما هنـاك منزل ، وليعلم أحدكم أنه مسئول عن دينه وعن أخذه حله وحرامه كالذى حدثنى أشهل بن حاتم عن ابن عون عن محمد قال : إن هذا العلم دين فلينظر امرؤ ممن يأخذ دينه(١).

وقال بقية بن الوليد (ت ١٩٧ هـ) : ذاكرت حماد بن زيد (ت ١٧٩ هـ) بأحاديث فقال : ما أجودها لوكان له أجنحة يعنى إسنادا(٢) وقال مالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ) :

« إن هذا العلم هو لحمك و دمك وعنه تسأل يوم القيـامة ، فانظر عمن تأخذه(٣) »

وقال عبد الله بن المبارك (ت ١٨١ هـ) :

« الإسناد من الدين ، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء(٤) » وقال أيضاً :

---

(١) أحوال الرجال للجوزجانى (ص ٢١٠ - ٢١١)

(٢) ذكره القسطلانى فى شرح المواهب اللدنية (٥/٣٠٣)

(٣) رواه الرامهرمزى فى لمحدث الفاصل (ص ٤١٦) وجاء مرفوعا فى الكفــاية (ص ٢١) وانظر لزاما : التعليق السابق (رقم ٣٧)

(٤) رواه مسلم فى مقدمة صحيحه (١/٨٢ بشرح النووى) والترمذى فى العلل المطبوع آخر السنن (٤/٣٨٨ تحفــة الأحوذى) وابن أبي حاتم فى الجرح (٢ / ١٦) وذكره السبكى فى طبقات الشافعية (١/١٦٧) وغيره .

« مثل الذى يطلب أمر دينه بلا إسناد كمثل الذى يرقى السطح بلا سلم[١]» وعنه أيضاً : « بيننا وبين القوم القوائم » يعنى الإسناد[٢] وقال أيضاً عن حديث : إن بين الحجاج بن دينار وبين النبى ﷺ مفاوز تنقطع منها أعناق المطى[٣]» .

أى ان بين الحجاج بن دينار وهو من أتباع التابعين فأقل ما يمكن أن يكون بينه وبين النبي ﷺ اثنان ، التابعى والصحابي ، فلهذا قال بينهما مفاوز أى انقطاع كثير . والمفاوزة : الأرض القفر البعيدة عن العمارة وعن الماء التى يخاف الهلال فيها » انتهى ملخصاً من شرح النووى (١/٨٩ هـ)

ولقد حمل أصحاب الحديث يوماً عل سفيان بن عيينة (ت ١٩٨ هـ) فصعد فوق غرفة فقال له أخوه : أتريد أن يتفرقوا عنك ؟ حدثهم بغير إسناد فقال : انظروا إلى هذا يأمرنى أن أصعد فوق البيت بغير درجة[٤]. وقال صالح بن أحمد (ت ٢٩٣ هـ) : يعنى أن الحديث بلا إسناد ليس بشيء وإن الإسناد درج المتون به يوصل اليها[٥].

وقال يزيد بن زريع (ت ١٨٢) هـ :

« لكل دين فرسان ، وفرسان هذا الدين أصحاب الأسانيد[٦] »

وكان بهز بن أسد (ت بعد المائتين هـ) يقول إذا ذكر له الإسناد الصحيح : هذه شهادات العدول المرضيين بعضهم على بعض ، وإذا ذكر له اسناد فيه شيء

---

(١) رواه الخطيب فى الكفاية (ص ٣٩٢) وانظر طبقات الشافعية (١/ ١٦٧) وتدريب الراوى (٢/١٦٠)

(٢ ، ٣) رواه مسلم فى مقدمة صحيحه (١/ ٨٨ بشرح النووى)

(٤ ، ٥) رواه الخطيب فى الكفاية (ص ٣٩٣) وانظر تدريب الراوى (٢/١٦٠)

(٦) ذكره السبكى فى طبقات الشافعية الكبرى (١/١٦٧)

قال هذا فيه عهدة ، ويقول : لو أن لرجل على رجل عشرة دراهم ثم جحده لم يستطع أخذها منه إلا بشاهدين عدلين ، فدين الله أحق أن يؤخذ فيه بالعدول[١].

وقال الشافعي محمد بن إدريس (ت ٢٠٤ هـ) :

« مثل الذي يطلب الحديث بلا إسناد كمثل حاطب ليل [يحمل حزمة حطب وفيه أفعى وهو لا يدري[٢]] .

وكان عبد الله بن طاهر (ت ٢٢٠ هـ) إذا سأل اسحاق بن ابراهيم الحنفي (ت ٢٣٨ هـ) عن حديث فذكره له بغير إسناد سأل عن إسناده ويقول :

« رواية الحديث بلا إسناد من عمل الزمني ، فإن إسناد الحديث كرامة من الله عز وجل لأمة محمد[٣]» والزمني : المرضى .

وقال أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) :

« طلب إسناد العلو من السنة[٤]» وقال أيضاً :

« طلب الإسناد العالي سنة عمن سلف[٥]»

وقال محمد بن أسلم الطوسي (ت ٢٤٢ هـ) :

« قرب الإسناد قرب أو قربة إلى الله تعالى[٦]»

وقال محمد بن ادريس أبو حاتم الرازي (ت ٢٧٧ هـ) :

« لم يكن في أمة من الأمم منذ خلق الله آدم أمة يحفظون آثار نبيهم وأنساب

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١٦/٢)

(٢) ذكره القسطلاني في شرح المواهب (٣٩٣/٥) وما بين المعكوفتين من فيض القدير (١ / ٤٣٣)

(٣) ذكره السخاوي في فتح المغيث (٤/٣) والقسطلاني في شرح المواهب (٣٩٣/٥)

(٤) رواه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١٢٣/١)

(٥) المصدر السابق ، وانظر فتح المغيث (٤/٣) والتقييد والايضاح (ص ٢١٦)

(٦) رواه الخطيب في الجامع (١٢٣/١) وانظر قواعد التحديث (ص ١٨٦)

[سلفهم[١]] مثل هذه الأمة[٢]» وعنه أيضا أنه قال :

لم يكن فى أمة من الأمم أمة يحفظون آثار نبيهم غير هذه الأمة ، فقيل له : ربما رووا حديثا لا أصل له ؟ قال علماؤهم يعرفون الصحيح من السقيم[٣].

وقال أبو على الجبائى (ت ٣٠٣ هـ) :

« خص الله تعالى هذه الأمة بثلاثة أشياء لم يعطها من قبلها : الإسناد والأنساب والإعراب[٤]» .

وقال الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابورى (ت ٤٠٥ هـ) :

« طلب الإسناد العالى سنة صحيحة[٥]» وقال أيضا :

« فلولا الإسناد وطلب هذه الطائفة له وكثرة مواظبتهم على حفظه لدرس منار الإسلام ولتمكن أهل الإلحاد والبدعة فيه بوضع الأحاديث وقلب الأسانيد فإن الأخبار إذا تعرت عن وجود الأسانيد فيها كانت بترا[٦]» .

وقال ابن حزم (على بن أحمد) (ت ٤٥٦ هـ) :

« نقل الفقه عن الثقة يبلغ به النبي ﷺ مع الإتصال ، خص الله به المسلمين دون سائر الملل ، وأما مع الإرسال والاعضال فيوجد فى كثير من اليهود ، ولكن لا يقربون فيه من موسى قربنا من محمد ﷺ ، بل يقفون بحيث يكون بينهم وبين موسى أكثر من ثلاثين عصرا ، وإنما يبلغون إلى شمعون ونحوه » . ثم قال رحمه الله : « وأما النصارى فليس عندهم من صفة هذا الفعل

---

(١) فى الأصل خلفهم والذى يقتضيه السياق ما أثبتناه والله أعلم .

(٢ ، ٣) رواهما ابن عساكر فى تأريخه كما فى شرح المواهب (٣٩٤/٥) وانظر فتح المغيث (٣/٣) وفيض القدير (٤٣٤/١)

(٤) تدريب الراوى (١٦٠/٢) وقواعد التحديث (ص ٢٠٤) والجبائى من المعتزلة .

(٥ ، ٦) معرفة علوم الحديث (ص ٦)

إلا تحريم الطلاق فقط . وأما النقل بالطريق المشتملة على كذاب أو مجهول الغين فكثير في اليهود والنصارى » ثم قال : « وأما أقوال الصحابة والتابعين فلا يمكن اليهود أن يبلغوا إلى صاحب نبي أصلا ، ولا إلى تابع له ، ولا يمكن النصارى أن يصلوا إلى أعلى من شمعون وبولص[١] » .

وقال أبو بكر محمد بن أحمد (ت ٤٨٩ هـ) :

« بلغنى أن الله خص هذه الأمة بثلاثة أشياء لم يعطها من قبلها من الأمم الإسناد والأنساب والإعراب[٢] » .

وقال أبو بكر العربي (ت ٥٤٣ هـ) :

« والله أكرم هذه الأمة بإسناد لم يعطه أحد غيرها فاحذروا أن تسلكوا مسلك اليهود والنصارى ، فتحدثوا بغير إسناد فتكونوا سالبين نعمة الله عن أنفسكم مطرقين للتهمة اليكم وحافظين لمنزلتكم ومشتركين مع قوم لعنهم الله وغضب عليهم وراكبين لسنتهم[٣] »

وقال أبو عمرو عثمان بن الشيخ صلاح الدين (ت ٦٤٣ هـ)

« أصل الاسناد أولا خصيصة فاضلة من خصائص هذه الأمة وسنة بالغة من السنن المؤكدة[٤] »

وقال أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (شيخ الاسلام) (ت ٧٢٨ هـ) :

---

(١) الفصل في الملل والنحل (٢ / ٨١ - ٨٤) وذكره القسطلاني في شرح المواهب (٣٩٤/٥) وغيره عنه .

(٢) شرح المواهب (٣٩٣/٥) وفتح المغيث (٢/٣)

(٣) نقله الكتاني في فهرس الفهارس (٨٠/١)

(٤) مقدمة ابن صلاح (ص ٢١٥)

« وعلم الإسناد والرواية مما خص الله به أمة محمد ﷺ وجعله سلما » إلى الدراية ، فأهل الكتاب لا إسناد لهم يأثرون به المنقولات وهكذا المبتدعون من هذه الأمة أهل الضلالات ، وإنما الإسناد لمن أعظم الله عليه المنة أهل الإسلام والسنة يفرقون به الصحيح والسقيم والمعوج والقويم . و غيرهم من أهل البدع والكفار إنما عندهم منقولات يأثرونها بغير إسناد وعليها من دينهم الإعتماد وهم لا يعرفون فيها الحق من الباطل ولا الحالى من العاطل »(١)

وقال الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي (ت ٧٤٣ هـ) :

« الإسناد خصيصة من خصائص هذه الأمة و سنة من السنن البالغة وطلب العلو فيه سنة أيضا ولذلك استحبت الرحلة وعلوه يبعد من الخلل والمتفرق إلى كل راو »(٢)

وقال أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤ هـ) فى معرض الكلام على إبليس وهل كان من الملائكة أم لا :

« و قد روى فى هذا آثار كثيرة عن السلف وغالبها من الإسرائيليات التى تنقل لينظر فيها ، والله أعلم بحال كثير منها ، و منها ما يقطع بكذبه لمخالفته للحق الذى بأيدينا وفى القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة لأنها لا تكاد تخلو من تبديل و زيادة و نقصان وقد وضع فيها أشياء كثيرة وليس لهم من الحفاظ المتقنين الذين ينفون عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين كما لهذه الأمة من العلماء والسادة والأتقياء والبررة والنجباء ومن الجهابذة النقاد و الحفاظ الجياد الذين دونوا الحديث وحرروا وبينوا صحيحه من حسنه ، من ضعيفه ، من منكره ، وموضوعه ومتروكه ومكذوبه وعرفوا الوضاعين والكذابين والمجهولين

---

(١) مجموع الفتاوى الكبرى (١/٩)

(٢) الخلاصة فى أصول الحديث (ص ٥٣)

وغير ذلك من أصناف الرجال، كل ذلك صيانة للجناب النبوى والمقام المحمدى خاتم الرسل وسيد البشر ﷺ أن ينسب إليه كذب أو يحدث عنه بما ليس فيه فرضى الله عنهم وأرضاهم وجعل الجنة الفردوس مأواهم وقد فعل [١]»

وقال أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلانى (ت ٩٢٣هـ):

«الاسناد خصيصة فاضلة من خصائص هذه الأمة وسنة بالغة من السنن المؤكدة[٢]

وقال ابن حجر الهيثمى (بالمثناة الفوقية) (ت ٩٧٣ هـ):

«لكون الإسناد يعلم به الموضوع من غيره كانت معرفته من فروض الكفاية»[٣]

وقال على القارى (ت ١٠١٤ هـ):

أصل الإسناد خصيصة فاضلة من خصائص هذه الأمة وسنة بالغة من السنن المؤكدة بل من فروض الكفاية وطلب العلو أمر مطلوب وشأن مرغوب»[٤]

وقال عبد الرؤف المناوى (ت ١٠٣١ هـ)

«وقد أكرم الله هذه الأمة بالإسناد وجعله من خصوصياتها من بين العباد وألهمهم شدة البحث ذلك حتى أن الواحد يكتب الحديث من ثلاثين وجها فأكثر» [٥]

وقال أبو الحسنات محمد عبد الحى الكنوى (ت ١٣٠٤ هـ):

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٦٥)

(٢) شرح المواهب (٥/٣٩٢)

(٣) فهرس الفهارس (١/ ٧٠)

(٤) شرح شرح النخبة (ص ١٩٤)

(٥) فيض القدير (١/٤٣٤)

« الإسناد مطلوب فى الدين قد رغبت إليه أئمة الشرع المتين ، وجعلوه من خصائص أمة سيد المرسلين ، وحكموا عليه بكونه سنة من سنن الدين[١] » ، وقال أيضاً بعد ذكر بعض أقوال الأئمة فى أن الإسناد من الدين :

فهذه العبارات بصراحتها أو بإشارتها تدل على أنه لابد من الإسناد فى كل أمر من أمور الدين وعليه الاعتماد ، أعم من أن يكون ذلك الأمر من قبيل الأخبار النبوية أو الأحكام الشرعية أو المناقب والفضائل والمغازى والسير والفواضل وغير ذلك من الأمور التى لها تعلق بالدين المتين والشرع المبين فشىء من هذه الأمور لا ينبغى عليه الاعتماد مالم يتأكد بالإسناد لاسيما بعد القرون المشهود لهم بالخير[٢]»

وقال محمد بن حاكم بن المظفر :

إن الله تعالى قد أكرم هذه الأمة وشرفها وفضلها بالإسناد وليس لأحد من الأمم كلها قديمها وحديثها اسناد موصول إنما هو صحيف فى أيديهم وقد خلطوا بكتبهم أخبارهم[٣]»

وقال أبو سعيد الحداد :

الإسناد مثل الدرج ومثل المراقى ، فإذا زلت رجلك من المرقاة سقطت ، والرأى مثل المرج[٤] »

وقال بعض الأعلام فى صدر ثبت له :

---

(١) الاجوبة الفاضلة (ص ٢١) ونقل أقوالا طيبة عن الأئمة فى الباب .

(٢) المصدر السابق (ص ٢٧)

(٣) شرح المواهب (٣٩٤/٥) وفتح المغيث (٤/٣) وتوضيح الأفكار (٤٠٠/٢)

(٤) الكفاية (ص ٣٩٣)

« وكفى الراوى المنتظم فى هــذه السلسلة شرفا وفضلا و جلالة و نبلا أن يكون اسمه منتظما مع اسم المصطفى فى طرس واحــد على رغم أنف الحاســد المعاند وبقاء سلسلة الاسناد من شرف هذه الأمة المحمدية واتصالهـا بنبيهـا خصوصية لها بين البرية[1] »

و قال بعض علماء شاش :

كل الكلام سوى القرآن مشغلــة إلا الحــديث وإلا الفقه فى الدين

والعــلم متبع ما كان حدثنــا وما سوى ذلك وسواس الشياطين[2]

إلى غير ذلك من أقوال الأئمة المأثورة .

من آثار علم الاسناد

ولما تقدم من أهمية الاسناد وفى كون علم أسماء الرجال نصف علم الحديث حصلت الرحلة فى الحديث ورغب فى العلو فى الاسناد وإقلال الواسطــة بين الراوى ورسول الله ﷺ إذ هذا يبعد الاسناد عن الخلل لأن كل رجل من رجاله يحتمل ان يقع الخلل من جهته سهواً أو عمداً ففى قلتهم قلة جهات الخلل و فى كثرتهم كثرة جهات الخلل كما لا يخفى[3] ولهــذا رغب الأئمة فى العلو فقال الامام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) عندما سئل عن الرجل يطلب الاسنــاد العالى قال : طلب الاسناد العالى سنة عمن سلف لأن الصحــابة كانوا يرحلون

---

(١) فهرس الفهـارس (٨١/١) والثبت بالفتح ما يثبت به المحدث مسموعه مع أسماء مشاركين له فيه لأنه كالحجــة عند الشخص لسماعه وسماع غيره انظر فهرس الفهارس (٦٨/١)

(٢) شرف أصحاب الحديث (ص ٧٩)

(٣) مقدمة ابن الصلاح (ص ٢١٦)

من الكوفة إلى المدينة فيتعلمون من عمر، ويسمعون منه[١].

وقال ابن معين (ت ٢٠٣ هـ) : «الحديث بنزول كالقرحة فى الوجه[٢]»

وقال ابن المدينى (ت ٢٣٤ هـ) : «النزول شؤم[٣]». إلى غير ذلك من أقوالهم.

ولا شك عندهم أن المراد بالعلو فى الحديث العلو بخبر الثبت ولهـذا قال ابن معين: الحديث النزول عن ثبت خير من علو عن غير ذى ثبت[٤]»

وكما أنهم يستعملون العلو بالقرب من إمام معين من أئمة الحديث وإن كثر العـدد عن ذلك الإمام إلى رسول الله ﷺ فإذا وجد ذلك فى إسناد وصف بالعلو نظرا إلى قربه من ذلك الإمام وإن لم يكن عاليا بالنسبة إلى رسول الله ﷺ ويستعمل أيضاً بالنسبة إلى رواية الصحيحين أو أحدهما أو غيرهما من الكتب المعروفة المعتمدة[٥] وقد يستعمل فى غير ذلك. ولأهمية الإسناد أيضاً حرص العلمـاء على القراءة على الشيوخ وتلقى المصنفات الحديثية بالأسانيد إذ اعتبروا الأسانيد أنساب الكتب كما حكاه الحافظ ابن حجر العسقلانى[٦] (ت ٨٥٢ هـ) وكانت الإجازة فى الحديث مقررة عند أهل الشأن بل عدها الحافظ ابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ) رأس مال كبير وكثير[٧].

قلت: لا شك أن فى الإجازة حرصاً على بقاء السند واختصاصاً لهذه الأمة

(١ - ٤) رواها الخطيب فى الجامع لأخلاق الراوى (١ / ١٢٣) وانظر لغيره من الآراء وراجع أيضاً فتح المغيث (٣/٤) وتوضيح الأفكار (٢/٣٩٦)

(٥) مقدمة اتحاف النبيه فيما يحتاج اليه المحدث والفقيه (ص ١٦)

(٦) فتح البارى (١/٦)

(٧) فهرس الفهارس (١/٨١)

به ، وفيها المحافظة على الشريعة والتلقى عن أهل العلم والاتصال برسول الله ﷺ والتأسى به وفيها التشمير عن ساعد الجد وإدراك ما قام به الأوائل من صحابة وتابعين وتبع أتباعهم ومن سار على نهجهم فإنهم فرسان هذا العلم الذين حفظوا على المسلمين الدين وهدوهم إلى الصراط المستقيم وهم الذين آثروا قطع المفاوز والقفار على التنعم فى الديار والأوطان فى طلب السنن فى الأمصار وجمعها بالرجل والأسفار والدوران فى جميع الأقطار حتى إن أحدهم ليرحل فى الحديث الواحد الفراسخ العديدة وفى الكلمة الواحدة الأيام الكثيرة لئلا يدخل مضل فى السنن شيئاً يضل به ، وإن فعل فهم الذابون عن رسول الله ﷺ ذلك الكذب والقائمون بنصرة الدين[١].

فاللهم ارحمهم وأجزهم خيرا وألحقنا بهم واجعلنا من محبك ومحبيهم ومن مبغضى من يبغضهم واجعلنا من الذابين عن شريعتك فى كل أمر وأمتنا على ذلك إنك سميع مجيب .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ؟

◎ ◎ ◎

(١) المجروحين (١ / ٢٧)